قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (الأدب الجزائري) السنة ثالثة ليسانس، تخصص:نقد ومناهج

إعداد الأستاذة:حسناء بروش

المحاضرة رقم: 01

يوم: 2021/02/08

الأفواج: 01-02-03-04

عنـــوان المحاضرة: التجريب وسؤال الحداثة في الرواية العربية الجزائرية

يمثل التجريب/ والإبداع ثنائية يحكمها التعالق الجدلي والتكامل "فالتجريب المستمر هو ما يهب الكتابة شرعيتها وتبريرها"، وذلك لما يتوفر عليه من "سمات فذة وآفاق غير محدودة"، تعود في جوهرها إلى طبيعته الباحثة باستمرار عن المغاير من أشكال الكتابة الروائية وأدواتها، ذلك أنّ البحث يشكّل أولى درجاته، إذ "بدون بحث لا يوجد تجريب"، فالبحث "هو الذي يحفز الكاتب الروائي إلى تجاوز الأشكال المستهلكة والعقيمة، وإلى تجريب أدوات جديدة وخلق أشكال حية".

ولما كانت الرواية تمثل ذلك الجنس الأدبي المنفتح على سائر تشكّلات الفعل الإبداعي في شتى "صوره التراثية منها والمعاصرة، المحليّة منها والعالمية، والقادر على التفاعل معها عبر أشكال متعدّدة من التعالق النصّي، تعكس اختلافا في المرجع وتنوّعا في الرؤية من كاتب لآخر، فإنّها تبقى مقبلة دوما على التجريب الذي تستمّد منه تجدّد نفسها، وتطوّر آليات إنشائها، عالما روائيا" لا يزال بصدد التشكّل"، يعكس تنامي وعي كتّابها النقدي بشروط ممارستها نوعا أدبيا يتعالى على الثوابت والحدود، من خلال مساءلة ذاته دون التوغّل بعيدا في مسالك المغامرة.

فرواية التجريب "لا تخضع في بنيتها لنظام مسبق يحكمها، ولا إلى ذلك المنطق الخارجي الذي تحتكم إليه الأنماط التقليدية في الكتابة الروائية، وإنّما تستمدّ نظامها من داخلها، وكذلك منطقها الخاص بها من خلال تكسير الميثاق السردي والانزياح عنها على كافة مكوّنات الخطاب (الزمن- الرؤية- الصيغة...) ثمّ بجعل الخطاب" يستوعب أبنية خطابية متعددّة: المسرحي، والشعري والديني، والحكائي والشفوي والصحافي والسياسي والتاريخي... ويأتي تداخل الخطابات هنا وتعدّدها في إطار انفتاح الخطاب الروائي عليها، لتقوم بوظائفها في مجرى الخطاب، وبتضافر مع الطرائق الموظّفة في بنائه، وهذا ما يجعلها تسهم جميعا، وكلاّ بحسب خصوصيتها في إثراء عالم الخطاب الروائي وتشكيل مكوّناته، وأخيرا تحقيق نوع من الانسجام في بنية الخطاب" والاشتغال على اللغة بأفق حداثي يتمّ في ضوئه التعامل مع اللغة لا كأداة إبلاغ فحسب وإنما كفضاء إبداع يسهم في شعرنة الخطاب، وتكثيف دلالته الفكرية وأبعاده الجمالية، ممّا يجعل الرواية تنفتح على أكثر من احتمال وتوقع. وهو ما يكسب القراءة طابعا خاصّا ينهض على السعي إلى تفجير الأبعاد الخفية في النصّ، خاصّة إذا كان هذا الأخير يتميّز بسرده المتشعّب، ولغته الرمزية، وبعده العجائبي.

وفي الواقع، إنّ رواية التجريب، تستمدّ أبرز العلامات الدّالة على حداثتها من مجمل تلك الخصوصيات، التي تضفي عليها مياسم الكتابة المغايرة للسائد السردي، والمتميزة عنه، بحكم ما تتوفّر عليه هذه الرواية من عناصر الإضافة النوعية، والتي تتفاوت من كاتب لآخر، إلّا أنّها تبقى دليلا معبّرا على "الكتابة المضادّة والتي لا تتردّد في مواجهة/ الآخر المتعدّد الوجود، بعد أن تحرّرت في التفكير والتخييل واللغة مجسّدة بذلك "جواب التجاوز على سؤال الإبداع اختيار المغامرة بديلا".

وتكشف المدّونة الروائية الجزائرية ذات التعبير العربي، على انخراط عدد مهّم من نصوصها في مذهب التجريب، وإن تفاوتت درجات وعي كتّابها بشروطه وآلياته، لما يستثمرونه من أشكال وتقنيات، بغية التعبير عن الإشكاليات المستحدثة الناجمة عن التحوّلات المتأزّمة التي ما فتئت تشهدها مختلف أبنية المجتمع الجزائري منذ الاستقلال إلى الآن، وما نجم عنها من أحداث جعلت البحث عن أشكال تعبيرية جديدة يكون ضرورة في نظر الجيل الجديد من كتّاب هذه الرواية الجزائرية، والذي نمثّل له بواسيني الأعرج، ورشيد بوجدرة، وجيلالي خلاص، والحبيب السائح، وغيرهم، وحتّى من قبل رموز الجيل المؤسّس كعبد الحميد بن هدوقة (1925–1996)، والطاهر وطّار خاصّة وقد أخذت أسس التجريب الروائي: مقوّمات فكرية وأشكالا فنيّة تتبلور في المشرق العربي من خلال كتابات جيل الستينات في مصر، وبعد أن غدا الشكل الروائي منفتحا على أكثر من جنس أدبي، وشكل فنّي، وأفق إبداع، بتأثير من المنجزات السردية الغربية إبداعا ونقدا.

وأمام كثرة التجارب الروائية الجزائرية التي انخرطت في مسالك التجريب، ولم يستطع جميعها أن يكون مبدعا، ومن ثمّة منتجا لشكل جديد أو خطاب جديد أو للغة جديدة، عمدنا إلى اختيار بعض نماذجها الدّالة، والممثّلة في نظرنا لهذا النوع من الرواية التجريبية الجزائرية، وما شهده –ولا يزال– من تشكلات تستمدّ تجدّد نسائها من تجدّد رؤى كتّابها المتسائلة عن الرواية: شروطا وأدوات ووظيفة في المجتمع من خلال إعادة النظر في

العلاقة بالذات والمرجع واللغة. وهي نماذج كلّ من عبد الحميد بن هدوقة، والطاهر وطّار، وواسيني الأعرج ورشيد بوجدرة وجيلالي خلاص. وجميعها يعكس تبلور السمات المفيدة لهذا النمط من الكتابة الروائية على مدى العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، والتي تشكل عمر هذه الرواية العربية الجزائرية. وهو نمط بقدر ما يكشف عن علامات تقاطع بين تجارب هؤلاء الكتّاب ونصوصهم فإنّه يبيّن توفّر علامات تمايز بين تجربة وأخرى، وحتّى بين نص وآخر داخل التجربة الروائية الواحدة.